فرانسيس دينق – افارقة العوالم الأثنين – الدينكا في السودان – العربي – الإفريقية صدر هذا الكتاب في عام 1979 تحت عنوان Africans of Two worlds . The Dinka In Afro – Arab Sudan

وصلني الكتاب من بروفيسور يوسف فضل مشكورا في طي عشر كتب لزوم رمضان – وقد بدأت بكتاب القيم الأخلاقية عند السودانيين Sudanese Ethics ثم عرجت على كتاب الدينكا – وقد اصبح الدينكا في هذا اليوم في عالم إفريقي صرف بجنوب السودان، باستثناء دينكا نجوك الذين مايزالون في أبياي المتنازع عليها وإن كانت محكمة العدل لاهاي افتت بأن العرب لهم حقوق ثانوية فقط جنوب بحر العرب بينما اعتبرت الارض جنوب بحر العغرب أرضا الدينكا .

كتب هذا الكتاب ، إبان المجد الذهبي لاتفاقية اديس ابابا ، التي ظت البعد انها حملت الحل النهائي المعضلة جنوب السودان ، وقد سمعت البروفيسور ، عبدالله الطيب يقول إن للسودان امتدادات شرقا وغربا أما الجنوب فهو شيء مختلف وحل مشكلته أن نطلب من الإنجليز أن يعودوا ويأخذوا (مرفعينهم مشكورين) ولعلي أشرت في كتابي الذي صدر باللغتين العربية والأنجليزية المعنون المشروع التنصيري بالسودان – اشرت فيه إلى أن النخبة الجنوبية مزاجية الإنفصال ولا تثق في الشمال وتشربت الثقافة الغربية وأصبحت في قطيعة مع الثقافة الإسلامية – ويبدو لي أن كتاب فرانسيس دينق الصادر قبل حوالي أربعين عاما يؤكد هذه الفرضية .

يشير دينق إلى أن هناك بعد شرق أوسطي " أي مؤثرات دينية يهودية ومسيحية وإسلامية " في الدينكا وأن الخالق عند الدينكا واحد لا يتعدد، ولكن تتعدد الوسائط الروحية التي تقود إليه ، والوسيط هو كيان كهنوت متخيل قد يكون وسيط خير أو وسيط شر ، والوسطاء طبقات بعضها أعلى من بعض – وفي إطار هذه التعددية الروحية – يتم تحوير القصص الديني ، مثل أن المرأة خلقت من جسم الرجل ، وقصة الفاكهة المحرمة التني اكلتها المرأة باغواء الثعبان وماتبعها من ندم وخطيئة ، وكذلك الولادة العذرية ، ولعنة نوح ، فالطفل الذي ولد ولادة عذرية اسمه دينج وكذلك قصة العبور ونجاة دينج وهلاك اعدائه غرقا – وأن الدينكا جاءوا من الشرق – من نواحي سنار وجبل موية .

ومن عادات الدينكا القديمة ومثلهم مثل الشلك والتي سعي في إبطالها الإنجليز – انهم لايتركون سلاطينهم يموتون حتف انفهم وانما يعجلون بقتلهم منى ما أصابهم الهرم – ومن عقائدهم عقيدة الحرية المقدسة التي اعطاها الخالق عند لحظة الخلق للوسيط الروحي القبيلة جوك – ويتكلم عن كبرياء الدينكا وان الدينكاوي يري ارضه افضل أرض وابقاره أفضل

الإبقار وعرقه افضل الأعراق – والبقرة هي هدية الإله للدينكا وهي وسيلة الزواج والثروة والفداء والتواصل .

أما الجزء الثاني من الكتاب فيخصصه الكاتب لروايات شيوخ واعيان وسلاطين الدينكا لتاريخ القبيلة وعلاقاتها مع الشمال ومستقبل البلاد واتضح من خلال نقاشاته مع اعيان القبيلة ، أن من اشد التأثيرات على عقل الدينكا تجارة الرقيق ، التي حسب رواياتهم صاحبها العنف والخطف وتدمير الحرث والنسل وفقدان الدينكا لرأسمالهم المتمثل في البقر ويشيرون إلى التركية والمهدية بحقبه فساد العالم وبالنسبة للدينكا – فإن التركي والدنقلاوي يرمزان للإسترقاق وغياب القانون – لأنهما يريدان نهب ثروتك واخذ زوجتك وأطفالك – والعرب طاعون في الذاكرة ولكن حروبهم مع النوير مثلا لها شأن آخر ، لأنها حروب اخوان واقارب – حروب الأسود مع الأسود.

وركز دينق على أن الشماليين كذلك في بعض البلاد العربية ينظر إليهم كعبيد – ومع إن كل الجنوب لم يك مؤيدا للرئيس النميري – إلا أن النميري في المخيلة الجنوبية يمثل المخلص – ومع ذلك فإن الجنوب يري في سلام نميري سلام مرحلي ، والجنوب يوم عرسه هو يوم تأكيد ذاته بالإنفصال ، لأن الجنوبي في السودان مواطن درجة ثانية في ظل هيمنة الشمال وصورة الجنوبي في المختلة الشمالية كعبد ــ وأن العلاقة مع الشمال مجرد زواج متعه ستنتهي أما إلى حرب او انفصال ، وان مسئولية انقاذ الجنوب مع براثن الشمال في يد متعلميه لأن الجنوبي الامي أو الجاهل يتحرك بمنطق القطيع ولا يستطيع حتى إدارة شأنه ، ولكن المتعلم يعرف إدارة الشأن الخاص والعام وبذلك هو مؤهل لتخليص شعبه وإيجاد المخارج له .

دائما كانت رؤيتي أن كل كتابات المفكرين الجنوبيين تدور حول الإنفصال وأن للجنوب ثقافة وهوية نافية لفكرة الوحدة مع المشال ، ومع أن كلام كثير يدور حول هوية الجنوب الإفريقية ، ولكنها مجرد فرضية باطلة ، لأنه ليس لإفريقيا هوية معيارية أو لغة معيارية أو ثقافة معيارية بل إن اكبر مؤثر في الثقافة الإفريقية هو الإسلام كما في حالة نيجيريا وغرب إفريقيا والله أعلم .

أ.دحسن مكي محمد احمد